منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives
AFA

إعادة إعمار غزة، أم استكمال للحرب بطرق أخرى

محمد حاموش

أورقة متابعات

منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

الاستقرار السياسي في العراق... أبرز تحديات العشر سنوات المقبلة

ورقة متابعات

(2025)

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية AFA

كتابة: محمد حاموش

باحثة بمنتدى البدائل العربي للدراسات

مراجعة: جورج فهمي

مراجعة لغوية: أحمد الشبيني

تصميم: منتدى البدائل العربي للدراسات

الآراء الواردة في هذا الإصدار تعبر عن أ ري كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن أري منتدى البدائل العربي للدارسات أو أي من المؤسسات الشريكة

شكّل قطاع غزّة طوال عشرات السنين من الصراع تحدّيًا كبيرًا ومؤلمًا للكيان الإسرائيلي. فقد استخدمه بدايةً كبقعة لتجميع الفلسطينيين المهجّرين من قراهم المحتلّة منذ نكبة فلسطين عام 1948، إلّا أنّه استحال تحديًا لهذا الاحتلال ونقطة فعّالة للمواجهة حيث نشطت فيه فصائل المقاومة واستخدمته كمنصّة لمهاجمة المستوطنات وإدارة العمليّات القتالية، ما أدّى إلى انسحاب الاحتلال منه في عام 2005. لكنّ الاحتلال لم يتوقّف عن محاولة تهجير سكّان القطاع طوال العشرين سنة الماضية، فأطبق الحصار على القطاع منذ عام 2007، وشن عديدًا من الحروب والعمليات العدوانية الّتي كانت حرب الإبادة الأخيرة أكثرها وحشية، حيث استمرّت من أكتوبر 2023 حتى التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق للنار في يناير 2025 الذي لا زال ضمن مراحل تنفيذه الأولى، مخلّفةً قرابة الـ 50 ألف شهيد وتضرُّر أو تدمير ما يفوق الـ 60% من مباني القطاع بحسب التقديرات[1].

وعلى الرغم من توقف العدوان على غزة مع اتفاق وقف إطلاق النار، فإن تبعات هذه الحرب قد لا تقلّ خطرًا عن هذه الحرب بما خص حساباتها الجيوسياسية ولن تقلّ قسوة على أهل غزة بما خصّ مستقبل الحياة في قطاع غزة.

ففي حين استطاعت حركات المقاومة في غزّة التّوصّل إلى اتّفاق وقف إطلاق للنّار لا يسمح لإسرائيل بالبقاء في أغلب المناطق الّتي توغّلت فيها، وفي حين أكّد سكّان القطاع رغبتهم في العودة والبقاء في أراضيهم المدمّرة، فإنّ مشاهد العودة الّتي رأيناها في 27 يناير 2025 ليست كافية لترسيخ استعادة الفلسطينيين لأرضهم وممتلكاتهم ولتحديد مستقبل القطاع بما يضمن بقاء فلسطينيي القطاع في أرضهم وإفشال مشروع التهجير.

تشكّل إعادة إعمار قطاع غزة التّحدي الأكبر لأهل قطاع غزّة الّذين واجهوا حربًا قاسية ودفعوا كلفة باهظة في مواجهة آلة القتل الإسرائيلية طوال عام ونصف، والآن يواجهون آثار هذه الحرب وتبعاتها عليهم، الّتي قضت على البنية التّحتيّة للقطاع بما يفوق قدرتهم على إعادة بنائه. وبالتّالي فإنّ إعادة إعمار القطاع لا يمكن أن تتمّ من دون مشاركة دولية تبدأ بتوفير كلفة إعادة الإعمار وتوفير المؤسسات والشّركات المتعهّدة ولا تنتهي بإدارة مرافق القطاع ونشاطه الاقتصادي، ولذلك لا يخفى على أحد تعويل إسرائيل الكبير على هذه المرحلة لفرض شروط إضافية والتضييق على الفلسطينيين بما يخدم مشروعها الإباديّ على المدى الطّويل. حيث تسعى إسرائيل، وهو ما بدا بشكل واضح في قرى الشريط الحدودي في جنوب لبنان، ليس إلى القضاء على البنى التحتية للمقاومة وحسب، بل إلى القضاء على كامل قرى الشريط الحدودي بأحيائها التّاريخية وبناها التحتية وأراضيها الزراعية كنوع من الإبادة المكانية، ما يضعف إمكانيّة حركات المقاومة من الاستفادة من هذه المناطق ويسهّل على إسرائيل مراقبتها وفرض سيطرتها عليها.

وفي حين بدأ الحديث عن مستقبل القطاع وآلية إدارته ما بعد توقف الحرب، فجَّر الرئيس الأميركي دونالد ترامب مفاجأة أثارت صدمة عالميّة بإعلانه نية الولايات المتحدة السيطرة على قطاع غزة وإدارته بعد إتمام اتفاق وقف إطلاق النار ونيّته تهجير أهل غزة ونقلهم إلى أماكن أكثر أمنًا بحد تعبيره.

تصريحات ترامب المستفزّة الّتي لا تراعي الأعراف الدبلوماسية ولا سيادة الدّول، لاقت كثيرًا من الاستنكار، على المستويات الدّولية والمحلّيّة، ورفضًا عربيًّا واضحًا لا سيّما من الدّول الّتي ينوي ترامب تهجير الفلسطينيين إليها، الّتي تعمل على

[1] الجزيرة، بالأرقام... دمار هائل في غزة وهذه أبرز الإحصائيات، 2025/1/16، https://bit.ly/43mV6Vk

الضغط لفرض رؤية مختلفة لمستقبل القطاع وعمليّة إعادة الإعمار. ولكن، رغم تراجع حظوظ خطة ترامب في النجاح فإنّه ينبغي التوقف عندها ومراجعتها بحذر، حيث أنّها تعكس نيّة ترامب الاستعمارية الصريحة ونيّة الولايات المتّحدة تجاه قطاع غزة وتسلّط الضوء على الأساليب الحديثة للإمبريالية الأميركية أو ما يسمّيه ديفيد هارفي "الإمبريالية من دون مستعمرات"[2].

يستعمل الرئيس الأميركي أسلوب وسطاء العقارات ويؤكد على ذلك بشكل صريح عندما يتحدّث عن خبرته الطويلة في التطوير العقاري. إلّا أنّ المسألة تتجاوز صفة ترامب وتجربته الشخصيّة لتعكس توجّهًا عامًّا في النظام العالمي وأسلوبًا متقدّمًا في فرض افتتاح أسواقٍ جديدة والاستفادة من الحروب والدمار الّذي تسبّبه لاستدراج الاستثمارات وتطوير العقارات على حساب الطبقات الفقيرة والسّكان الأصليين.

تشير نعومي كلين في كتابها "عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث"[3] إلى تحوّل الكوارث من فرص للتضامن الاجتماعي وإلغاء الفروقات الطبقية، إلى فرصة لتوسيع الفروقات الطبقية وتوسّع الرأسمالية. تشير الكاتبة إلى عديد من الحالات الّتي استخدمت فيها الولايات المتّحدة الصّدمات، الّتي تحدثها الكوارث الطبيعية أو الحروب أو الأزمات الاقتصادية، لنشر نموذج الهيمنة الاقتصادية النيوليبرالية، انطلاقًا من تجربة تشيلي الّتي كانت بمثابة المختبر للسياسات النيوليبرالية، الّتي تم استخدام الانقلاب العسكري والقمع المتوحّش الّذي رافقه بهدف إرباك الشعوب، بما يسهّل عمليّة فرض الإصلاحات السياسية وتفريغ مؤسسات الدولة وتعهيدها لجهات خاصّة، كما حدث في العراق بعد الاحتلال الأميركي في عام 2003[4].

بحسب نظرية كلين فإن الإفراط في استخدام العنف في حالات الحرب في العراق أو القمع السياسي في تشيلي والأرجنتين لم يكن له أي مبرّر سياسي أو عسكري. ففي تشيلي، تمت إدانة رئيس تشيلي السابق الجنرال أوغستو بينوشيه بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وبمسؤوليّته عن مقتل الآلاف من التشيليّين تحت التعذيب خلال فترة حكمه[5]، وهي الفترة الّتي تم فيها تطبيق برنامج إصلاحات اقتصادية حوّلت تشيلي إلى مساحة اختبار للسياسات النيوليبرالية[6].

أما في العراق، فقد اعترف الجيش الأميركي أن من 70 إلى 90 في المئة من المعتقلين العراقيين في سجن أبو غريب (الّذي ذاع صيته السيئ بما تعرض له المعتقلون فيه من انتهاكات واعتداءات) تم اعتقالهم عن طريق الخطأ[7]. إضافة إلى سلسة من القمع السياسي الّتي رافقت فترة الاحتلال الأميركي بعد الحرب، والّتي سرعان ما تمّت ترجمتها إلى خطوات اقتصاديّة عمليّة لخدمة الاقتصاد الأميركي والشركات الأميركية والدّوليّة. حيث قام بول بريمر زعيم سلطة التحالف المؤقتة على العراق بعد غزوه، بإصدار عدّة قوانين عملت على إعادة هيكلة القطاع العام العراقي وضمان حق الملكية للشركات الأجنبية وفتح مجال الاستثمار الخارجي في المصارف العراقية وإزالة أغلب العوائق التجارية. كما لم تسلم الحركة العمالية

[2] Harvey, David. *A Brief History of Neoliberalism.* Oxford University Press, Oxford, 2005;2007
[3] Klein, Naomi. *The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism.* Metropolitan Books, New York, 2007.
[4] Harvey, David. *A Brief History of Neoliberalism.* Opcit
[5] Amnesty International, How General Pinochet's detention changed the meaning of justice, 2013
[6] Klein, Naomi. *The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism.* Opcit
[7] Klein, Naomi. *Ibid.*

من إجراءات بريمر الّذي عمل على ضبطها وعلى تقييد العمل النقابي ومنعه في بعض القطاعات[8]. ساهمت هذه السياسات في تسهيل الأرضية لدخول الشركات الأميركية واستفادتها من عملية إعادة إعمار العراق الّتي تم تمويلها بجزء كبير من خزينة الدولة العراقية ومن الديون الّتي فرضت عليها.

لا تقتصر أساليب الولايات المتّحدة في الاستفادة من الكوارث على الاستفادة من الحروب، فحتى في حالات الكوارث الطبيعية الّتي أصبح يتم النظر إليها كفرص للاستثمار وجني الأرباح كما حصل في نيو أورلينز بعد إعصار كاترينا في عام 2005 والّتي كانت نموذجًا لأسلوب عمل رأسمالية الكوارث، أو في سيريلانكا بعد كارثة التسونامي، حيث استفادت عديد من الشركات من عقود لإدارة البنى التحتية وإعادة الإعمار[9].

تعيدنا هذه الاستنتاجات إلى السؤال حول الغاية من الإفراط في استخدام العنف والقوّة في الحرب على غزّة أو جنوب لبنان، وهل كان نتيجة طبيعيّة للحرب واستجابة لعملية طوفان الأقصى أم أنّه يأتي ضمن مشروع مستمرّ هدفه السّيطرة على كامل الأراضي الفلسطينية وتصفية القضيّة. كما أنّ الحديث عن الاستثمارات وإعادة الإعمار لا يرتبط بشخص ترامب إلّا من ناحية طريقة تظهير هذه النّوايا والأسلوب الاستفزازي الّذي يستخدمه في الضّغط على حلفائه قبل خصومه للقبول برؤيته وشروطه، أمّا من ناحية المشروع فإن ترامب قد جاء ليحصد ما زرعته الإدارة السّابقة الّتي أمّنت كامل الدّعم لإسرائيل من تغطية دوليّة لجرائمها وتعطيل مشاريع التسوية ووقف إطلاق النّار إلى تزويدها بما تحتاجه من قنابل وأسلحة لتنفيذ مشروع التدمير الّذي رافقته الحملات الإعلامية حول حجم شبكات الأنفاق الّتي تملكها حركة حماس داخل القطاع بما يستخدم لتبرير كامل الجرائم الّتي قامت بها إسرائيل.

إن مشروع ترامب للسيطرة على غزة وتحويلها إلى "ريفييرا" على حد تعبيره وإن لم يكتب له النجاح بالشكل الّذي يصوّره بفعل صمود الشعب الفلسطيني واعتراض الدّول العربية الكبرى، لا ينبغي إهماله لما تشكّله مرحلة إعادة الإعمار من خطر على مستقبل القضية الفلسطينية ومستقبل الفلسطينيين داخل القطاع. يكفي النظر إلى تجارب المنطقة في إعادة الإعمار من العراق إلى لبنان، وكيف تحوّلت هذه الدّول إلى سوق للشركات والاستثمارات على حساب شعوب هذه الدّول، كما أن النظر إلى مدى الاهتمام الدّولي بإعادة إعمار دول المنطقة، والأهمية الاقتصادية والسياسية والعسكرية الكبيرة، الّتي تمثّلها المنطقة عالميًّا، يمكن منه استنتاج أن مشروع إعادة الإعمار قد يكون فرصة للرأسمالية لتهجير الفلسطينيين، واستغلالهم والتضييق عليهم في أرضهم، عوضًا عن أن يكون فرصة لإعادة الحياة إلى القطاع وترسيخ حق الفلسطينيين فيه وفي أرضهم كاملة.

[8] Harvey, David. *A Brief History of Neoliberalism.* Opcit.
[9] Klein, Naomi, DISASTER CAPITALISM The New Economy of Catastrophe, Harper's Magazine, October 2007.

منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية

مكاتب فبريكا. شارع كنيسة الاخوة الانجليين. منطقة اوتيل ديو، الاشرفية بيروت. لبنان.

+961 76 386 477 info@afalebanon.org https://www.afalebanon.org/

هذا المُصنَّف مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي نسب المُصنَّف - غير تجاري - منع الاشتقاق 4.0 دولي.